

جذور إرماحاته الطب النفسي الإيقاع المحيوي التطوري (من الإبداع الخاص)
الفصل الحادي عشر (والأخير) "إبراهيم الطيب" رواية "مدرسة العراة"



yehiatrakhaw@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2018/07/15

السنة الحادية عشرة - العدد: 3970

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر



مقدمة

نواصل اليوم نشر فصول رواية "مدرسة العراة" (1) "تباعا في هذه الأيام الثلاث (السبت/الأحد/الأثنين من كل أسبوع) وهى الجزء الثانى :من ثلاثية "المشى على الصراط." وهذا هو الفصل الحادى عشر (والأخير)

"إبراهيم الطيب"

-1-

كلما اقتربت من نهاية مرحلة ما - أو خيل إلى ذلك - أحسست بخطورة الخدعة، لا بد من اليقظة المستمرة حتى لا يسترجنى أى بديل مهما بدا براقا سهلا، أخذت دورا أكبر من قدرتى.... أخذته بكامل وعيى وحسب رؤيتى، وأعتقد أنى قمت وأقوم به بكفاءة، ترى هل هذا الدور هو أنا؟ ألا يمكن أن يلهينى عن حقى فى الحياة؟ هذا هو الخطر القائم المهدد، منتبه إليه ملء وعيى... لكنى لست مترددا ولا متراجعا، يبدو أنه ليس عندى بديل.

وحيد تماما، بالرغم من أنى أشعر أن نبض الحياة فى داخلى يكفى لأن يدفع بعجلة الناس - كل الناس - إلى نهاية المطاف، المطاف الذى لا أعرف له نهاية، أتساءل لماذا لا يدفع عجلتى أنا أولا، أحيانا أحس أن عجلتى تلف مثل "كورونا" السيارة لتدفع بهذه اللفات عجلاتهم إلى الأمام، هل تكون هذه الحركة ذاتها انتقال بى إلى الأمام ضمنا؟،

وهم آخر أخشى الوقوع فيه، لا أحد يدرى ما بى، ربما لا أريد أن يدرى بى أحد، كل واحد منهم يتصور أنه يستمد منى شيئا ما، أجد فى هذا ما يبرر استمرارى، أغلبهم يطمئن لوجودى، يتقون فى، هكذا يخيل لى... ولكنى أزداد وحدة حين تخطر على بالى حقيقة موقفى، وأن أحدا منهم لا يرانى كما أنا، ومع ذلك فأنا أحبهم، وهل أملك إلا هذا؟ تبدو حياتى فى حبهم وحب من هم مثلهم ومن ليسوا مثلهم، فقط أريد أن أحب نفسى بنفس القدر ونفس الوضوح، "أن تحب" هذه ثروة أخرى أرحب وأدوم.

أكرمونى بكل ذلك.... ولكنهم قيدونى قيذا عنيفا لا أعلم كيف السبيل إلى أن أتخلص منه، ولا متى، ترى هل سيستمر الأمر هكذا إلى نهاية المطاف؟ جاهز أنا لحملكم من أول فردوس الطبلاوى حتى عبد السميع الأشرم، حتى غريب نفسه لم يتنازل عن ذاته تلك المرة إلا وأنا أحيط به، كل هذا يعطى معنى لوجودى، أحس أن بقائى على هذه الأرض - رغم كل شئ - هو مفيد بشكل ما، ألا

لا أحد يدرى ما بى، ربما لا أريد أن يدرى بى أحد، كل واحد منهم يتصور أنه يستمد منى شيئا ما، أجد فى هذا ما يبرر استمرارى، أغلبهم يطمئن لوجودى، يتقون فى، هكذا يخيل لى

أزداد وحدة حين تخطر على بالى حقيقة موقفى، وأن أحدا منهم لا يرانى كما أنا، ومع ذلك فأنا أحبهم، وهل أملك إلا هذا؟

يعطينى هذا الحق فى أن أستمر، بل الفرحة فى أنى مستمر .

أرجع أتساءل: هل هو حقى أم واجبى؟ أحس أن الفرق ليس كبيراً، لا أشعر بحقى فى الحياة إلا من خلال تواجدى معهم، فأين حقى الذى اكتسبته بالولادة، هل نسيت أمى أن تعطينيها؟ هل ضاع بين اللفائف والضجة وبقايا الأشياء؟ هل أخذته الناس خطأ قبل أن أتعرف عليه أنا صاحبه الأول؟

وحيد حتى القاع، وحيد فوق القمة، وحيد معهم وبهم ولهم، لا مانع، هى البداية غالباً، وسأظل وحيداً حتى يرانى أحدهم دون أن يستدرجنى إلى لعبة البيع والشراء، دون أن يمصمص شفتيه، دون أن يجرجرنى إلى الوراء طلباً للراحة، دون أن يرفعنى على كتفه أو يقفز فوق رأسى ويدلى قدميه حول رقبتى، وحيد معك أنت شخصياً يا شيخى الطيب، لن أنكر فضلك ما حييت حتى لو لم أقدم خطوة عما أنا فيه، كان موقفك هو مفتاح هذه المرحلة التى أخوضها بكل ألمها وقسوتها وعبثها وروعته، لم تُشوّه زوجتى الداعرة، ولم تصفها بذلك، أنا الجبان الذى كررت ذلك مراراً، جئتكم وفى قلبى حقد العالمين ولم يكن قد تبقى إلا الترتيبات النهائية حتى أقبض روحها حقيقة لا مجازاً، ماذا بعد الخيانة؟ الكذب والخديعة يخرجان لى لسانهما فى مرآة الحمام.... وزجاج الأتوبيس، وشمع الأرضية، صورتها تبصق فى وجهى والأطفال فى الشارع يشيرون إلى هاتفين "أبو خليل، أبو لين" "كرباج ورا يا اسطى" قرأت ذلك فى نظراتهم، لم يصل بى الحال إلى سماع مالا يقال، ولكن الخيانة أكبر من احتمالى، وياليتها خيانة فيها قصة حب أو أى قصة مما نسمع عنها، كانت مجرد خيانة مفتوحة النهاية، كيف لم أشك فيها قبل ذلك؟ جئتكم يا رجل لتصدمنى بحقيقة أن الحكاية - مثل كل حكاية - تبدأ بداخلى أنا: تعلمت معنى آخر لكلمة "المومس"، اكتشفت أن أى علاقة غير صادقة هى علاقة مومسية، جاعنى اليقين من خالك حتى كدت أشكر زوجتى المسكينه أنها صدتتى بهذا الوضوح بدلا من أن تواصل ممارسة معنى نفس العلاقة بورقتنا المشروعة فأظل مسحورا منوما حتى الموت، رحمتى معرفة هذه الحقيقة من الانسياق وراء مبررات القتل والانتقام التى كان يمكن ألا يكون أمامى غيرها، لكنها فتحت على أبوابا لا قبل لى بها، ورؤية لا يحتملها أحد لكنها حقى بلا شك، وشرف وجودى.

أوقفتى يا شيخنا على الأرض عارياً معزولاً، نزعت منى سلاح الانتقام والبقاء على الظلم والاضطهاد، هأنذا أمضى عارياً: جلدى ينزف وجرحى يفرز الحديد، والناس من حولى تلوح لى بحقى فى الحياة، حقنا، ربما وأنا معهم، لست متأكداً، هل يكفينى هذا حتى الموت؟ كيف أكسر وحدتى يا شيخى الطيب؟ وعيناك تحذرنى من الاعتماد عليك، تخشى أن أتخذك بديلاً عن نفسى؟ ولكنك أيضاً أوقعتنى فيما ترى.

أنت تحيرنى يا شيخى، ماذا فعلت بوجدتك أنت، لعلك وحيد وحدتى وأكثر، هل ياترى لك جرح مثل جرحى؟ ما الذى رماك على الناس هكذا إلا قلة الناس، أكاد أقسم أنى أعرفك ولا أملك لك شيئاً سوى هذه المعرفة، هذه العلاقة الصامتة تعطى لحياتى معنى آخر ولعلها تعنى لك شيئاً حقيقياً، دون أن نعلنها يتهموننى أحياناً أننى مساعدك مثل إصلاح فاضل وأتمنى أحياناً أن أكون مساعدك فعلاً، لو أن لى مثل مهنتك لاختبأت فيها بقية حياتى غير ملتفت إلى وحدتى وألمى أصلاً، ولا مانع من الارتزاق على الماشى، أشك فيك أحياناً ولا أراك إلا حرفياً ماهراً، أعود وأراجع نفسى وأتساءل: وماذا فى ذلك؟ أليست حرفتك هى التى ضمدت جرحى فى نفس الوقت رغم أنه ما يزال ينزف؟ إلا أنى واقف أمسح ما يتراكم عليه بشجاعة عاشق الحياة المزمز؟ أحسدك على حرفتك وأشفق عليك منها، ربما تضطرك إلى نسيان نفسك بقية حياتك، أما أنا فمضطر لكسر وحدتى مهما استغرقت فى مساعدتهم، فرصتى أفضل منك، سأعطى نفسى لهم فترة موقوته تؤكد لى قدرتى، ثم أنطلق منها إلى... إلى... إلى أين؟ إلى ما يمكن بدءاً بنفسى! ولكن كيف؟ أحياناً أتصورك مريضاً مثلنا سواء بسواء، لافرق بيننا إلا أننا

فقط أريد أن أحبه نفسى
بنفس القدر ونفس الموضوع،
"أن تُحب" هذه ثروة
أخرى أرحب وأدوم

لا أشعر بحقى فى الحياة إلا
من خلال تواجدى معهم، فأين
حقى الذى اكتسبته بالولادة،
هل نسيت أمى أن تعطينيها؟

تعلمت معنى آخر لكلمة
"المومس"، اكتشفت أن أى
علاقة غير صادقة هى علاقة
مومسية،

أحياناً أتصورك مريضاً مثلنا
سواء بسواء، لافرق بيننا إلا
أننا ندهج وأنتك تقبض، أنا
أصارع وحدتى ليل نهار
فماذا تفعل أنت؟

كيفه أحتمل أنا الحرية
والانتظار؟! جرحى ينبض بألم
رائع، كيفه أحمش إلا بكم؟

ندفع وأنت تقبض، أنا أصارع وحدتي ليل نهار فماذا تفعل أنت؟ أنا أتقبل ما يلوح من حبههم بصبر وحذر حتى دون قصد منهم، هو يثريني بما يناسب حاجتي، أعطيهم ما يريدون ولكني لا أخدع نفسي، وأرتفع فوقهم.

لا أستطيع أن أميز من هو الأصعب فيهم، أحترم محاولات فردوس برغم ظاهر استسهالها:

- ابراهيم لا تبدو واثقا هكذا والا حسبتك "مَلَكَة".

= هذا طريق أعرفه تماما يا فردوس..... ليس تماما تماما، ولكني أعرف ضرورته وأنه ليس لي إلا السبر فيه، أنا لا أكذب عليك يا فردوس ولا على غيرك حين أقول أني أعرفه تماما لا أعني ذلك تماما، لا أحد يعرف طريقه تماما، ثم هل ترين لي طريق آخر؟ وإلا.

- أنا أحبك يا ابراهيم،

= وأنا أيضا يا فردوس

- يا نهار أسود.

= ليس أسود من قلوب الحقد

أحبك يا فردوس، وأحب نجوى وبسمة ومختار وشيخنا الطبيب.. ما المانع؟ هذا رغم وحدتي الشائكة، أو بسببها يا فردوس، هل أمامي شيء آخر غير أن أحب؟ الكذب هو الحرام الأوحى يا فردوس فلا تهربي من خوفك، غاية ما يمكن أن نحققه هو أن أراك بحجمك وتريني كما أنا، زوجك عبد السلام لا يعرف لك معالم، هو لذلك يكاد يغرق في بحرك، لو أنك يا فردوس أكملت شيئا حقيقيا، لو أنك نجحت مع عبد السلام بشرط الصدق رغم العري والصقيع، لو أنك فهمت معنى ما تقولين، إذن لانكسرت قوقعة وحدتي وأمنت للعالم من خلالكما، وحدتي قاسية والفرصة أمامك أكبر وأعمق، عبد السلام صبور رائع، لم ينسحب بغباء الجبناء، عفارم عليك يا عبد السلام، أتمنى لو صبرت عليها أكثر حتى لا تضطرها للتمرغ في وحل الخطيئة وهي لم تفتح عينيها بعد.

- ألا تخاف مما تقوله يا ابراهيم؟

= بل أخاف مما لا أقوله، يا فردوس

- وعبد السلام؟

= هو مثلك يا فردوس بالنسبة لي، بل لعل أحبه أكثر.

= ماذا تفعل يا عبد السلام وحدك؟،

- الألفاظ لا تسعفني يا ابراهيم فهل تعرف مابي؟،

= الأطفال جوعى للمسمة عطف.

- والنساء لا يحتملن الحرية أو الانتظار.

= والرجال أكثر،

كيف أحتمل أنا الحرية والانتظار؟! جرحى ينبض بألم رائع، كيف أعيش إلا بكم؟ حسابات شيخي

الطيب تلزمني بالمسئولية عن كل ما جرى وما يجري، أمنت بها حتى حسبتها حساباتي فزالت كل نوازع الانتقام، كلما غمرتني آلامى حتى أكاد وكادت تثور على فجأة أنسى كل شيء، أجرى نحوكم لاهثا أرتمى في أحضانكم لأصدق وجودكم حوالى، جرحى غائر يا عبد السلام، ومتقيح ورائحته نافذة، هو هو الذى أتى بى هنا إليك يا عبد السلام، وإلى فردوس، وإلى كل الناس، خطيئتها ليست فوق الغفران ولكني أصبحت الآن شيئا آخر، وأنت تعلم يا عبد السلام ماذا تعنى المحاولة، لم أستطع أن أستسلم لها فانقطعت خطوط الاتصال بيننا، لعبة الضياع ليس فيها كبير مهما اختلفت المعايير، من منا يا ترى وجد بغيته دون خداع؟ هي راحت تتدهور علانية، تزداد عمى وتزداد امتهانها لنفسها وتزداد

كلما غمرتني آلامى حتى
أكاد وكادت تثور على
فجأة أنسى كل شيء، أجرى
نحوكم لاهثا أرتمى في
أحضانكم لأصدق وجودكم
حوالى

أخافه أن أضع بيضى كله
في سلته، من يدري فقد
يخسرهما في لحظة هنا أو
سهوة هناك - حتى بلا قصد،
أنتم أهم عندي منه، وأنا
أهم من الجميع، يا لبيت!!

انتقل الضجر المر والابتعاد
البطيء إلى إعلان الشرح
الذي ظهر بيننا: حميما
متزايدا معلنا عن الأخطار
القابع في حياتنا من داخل
الداخل....

صدق أو لا تصدق، موقفي
منك يعطى حياتي معنى وأنا
في قاع الصبر والنبيذ، إيانك
أن تحسب أنني أعطيتك شيئا
من فضل، أنته تعطيني أيضا،
وربما أكثر، لو قبلت
اجتهادي ومحاولتي

بلادة، لم تعد تفهم أبسط العبارات ويبدو أنه لا أمل - في مجال بصرى - في إيقافها، وأنا من يفهمنى لى؟ حتى بينكم، مع أنى أتصور أنى أفهمكم مجتهداً "معاً".

حتى الشيخ الحكيم نفسه لا أجرؤ على خوض بحره وحدى، أخشى أن يغلغق عالمى عليه فلا يشعر بى إلا هو، أنتظر اصطحاب أحدكم إليه، أخاف أن أضع ببضى كله فى سلتته، من يدرى فقد يكسرها فى لفنة هنا أو سهوة هناك - حتى بلا قصد، أنتم أهم عندى منه، وأنا أهم من الجميع، يا ليت!!،

ياليتهى أصدق نفسى، إياك يا عبد السلام أن تتوقف عن المحاولة مع فردوس، ليست الشطارة فى أن تكتشف خدعة الحياة، ولكن أن تتحمل مسئولية اكتشافك.

تبينت دون قصد كيف كانت علاقتى مع "عزيزة" كاذبة مرهقة ثقيلة طوال سنوات طويلة، كان اكتشافا متسلسلا هادئا اتخذ شكل الضجر الثقيل المُمِلِّ، حتى انتهيت إلى أن شيئاً ما فى حياتنا لابد وأن يتغير، وما إن تراجع بضعه خطوات، أنظم فيها صفوفى وأعود إليها لنبدأ من جديد حتى تبعثرت اللعبة كلها.

انتقل الضجر المر والابتعاد البطيء إلى إعلان الشرخ الذى ظهر بيننا: عميقا متزايدا معلنا عن الأخدود القابع فى حياتنا من داخل الداخل.... ابتعدت أكثر ونسيت كل شئ إلا استحالة الاستمرار، كنت أتصور أنى أنتظر أن ترى صدقى وصبرى- فتحاول أن ترى الجانب الآخر، لم تستطع الانتظار، سرعان ما وجدتهم فى كل مكان، لم أنتبه إلا مصادفة، وهأنذا أدفع الثمن، وما أغلاه يا عبد السلام، فلا تفعل مثلى يا أختى، الله يسترك ويسعدك، لا تترك فردوس ولا تستسلم لها، كيف؟ لست أدرى، لا تفعل مثلى والسلام، ياليتهى أساعدكما فيما عجزت عنه أنا، ربما كان ينقصنا أنا وعزيزة ثالث أمين، فألكن لكما هذا الثالث الأمين فأفكر عن خطئى وأطف جرحى بنجاحكما، ونجاحنا، ياليت يا عبد السلام، ويا إصلاح، ويا شيخى ويا غريب، ياليت.

لماذا كل هذا يا غريب بالله عليك؟ مصيبتك كبيرة وأنا أعرف ذلك، ربما مصيبتى أكبر، ابتسامتى الواثقة، وجنونى المحب، ليسا دليلا على أنى أعب من نهر التفاؤل دون حساب، هما علامتا إصرارى على ألا أستسلم لهذه الوحدة القاسية، أنا وحيد مثلك وربما أكثر، جرحى لم يلتئم بعد، أنا هنا بجوارك يا غيبى... صدق أو لا تصدق، موقفى منك يعطى حياتى معنى وأنا فى قاع الهجر والنبد، إياك أن تحسب أنى أعطيتك شيئاً من فضل، أنت تعطينى أيضاً، وربما أكثر، لو قبلت اجتهدى ومحاولتى.

آه لو تسمعنى يا غريب يا أختى، ماذا فعلت بوحدتك حتى تاريخه يا غيبى؟ أنا وحيد مصارع، أما أنت فوحيد تدعى الحكمة بالاستسلام قبل أن تحاول أصلاً، الجين ليس وراءه إلا الصقيع، والخيال المر، الوحدة! لا مفر من محاولة كسرها، حتى لو ظللنا نحاول يا أختى ونحن بداخلها مدى الحياة، قد يكفيننا شرف صدق المحاولة.

المسألة تستأهل، أنت يا غريب تمضغ الزجاج المكسور وتشرب ماء النار، وتجعل الحروف التى تقرؤها تدخل فى عينيك كأسنة الدبابيس! ثم ماذا يا رجل؟ ثم ماذا؟ لا أنت قادر على الموت والتبلىد، ولا أنت تريد أن تحاول معى معنى، يدى ممدودة لك وقلبى مفتوح ووجدتى أكبر من وحدتك، فقط:

خوفى أقل، لتعش معى هذا الخوف ونحن نحاول بصدق، ليست دموعا ما ترى فى عيني، هى قطر الندى الذى يطهرنا من أوزار الوحدة، أراها وراء مقلتيك بعيدا بعيدا، فلا تحبسها، الضعف ليس عيبا ولكن العار كل العار فى هذه الحياة هو الشقاء، الشقاء جريمة، غول نذل غيبى، هو سبة حياتنا مهما أقمنا حوله من أضرحة وقدمنا إليه من قرابين، المصيبة فى هذه الجريمة، "جريمة الشقاء"، هى أن الجانى هو هو المجنى عليه والشهود الذين يحضرون ساحة الإعدام يدرجون فى كشف العدم حتى يأتى دورهم، وهم يسرون فى طوابير الوحدة الجبانه.

حين تركت نفسك بيننا يا غريب ذلك اليوم وتفجر مخزونك صادقا مرعباً: أيقظت فىنا أملا حقيقيا

الضعف ليس محبباً ولكن العار كل العار هى هذه الحياة هو الشقاء، الشقاء جريمة، تحول نذل غيبى، هو سبة حياتنا مهما أقمنا حوله من أضرحة وقدمنا إليه من قرابين،

المصيبة هى هذه الجريمة، "جريمة الشقاء"، هى أن الجانى هو هو المجنى عليه والشهود الذين يحضرون ساحة الإعدام يدرجون فى كشف العدم حتى يأتى دورهم، وهم يسرون فى طوابير الوحدة الجبانه.

المخدرات المغشوشة تضاعف من الوحدة لا تكسرها

أنا أنتظر هذه اللحظة منذ سنين، لكننى لا أستسلم لفهمك، تكفينى صدق محاولتك

وجودك يعنى أنك تحاول
كسر وحدتك بالرغم من كل
دعواتك، كل منا هنا ليكسر
وحدته وإن اختلفت الطريقة،
أنا بالخوف ومد يد المساعدة
على ما قسم، وأنت
بالإشعاع الجنسية تحت
شعار الحرية

لم أنجح في الوصول إلى
ذاتي أو كسر حواجزى ولم
أخذ نفسي

أنت لا تحرك إلا ما هي
مملك، ومملك ليس به شئ، إلا
صوتك الرخو وما نغستو
حقوق الإنسان عن الحرية
والمساواة،

ما يجري وراء الكواليس لا
يبشر بخير، كيف تلوع
للأطفال بحرية لا تستطيع أنت
تحقيقها؟ كيف تحمل الرضع
مسئولية الانتحار؟

أن نتواجد معا دون أن يلتهم بعضنا بعضا، حسدتك يومها على شجاعتك وتمنيت أن يأتي على الدور
لأفعلها في حضنك، فى ظل أمانك، حسبت أنك ستحتفظ بها ولكنك تراجعت بعدها مباشرة يا غريب،
لملمت نفسك وتراجعت إلى أبعد مما كنت، لماذا يا غريب؟ ماذا أخافك يا أخی؟ ماذا حجر على
وجودك؟ من أربك من حقا فى الحياة؟ من يومها تركتنا وحيدا كما جئت وأصعب.

وحدتى غير وحدتك يا غريب، قلت لك، أنا مازلت أحاول مع غيرك، ومع نفسى، فماذا تفعل أنت
يا غريب، أسمع جرس كسر الزجاج يملأ فمك وأنت تمضغ الألم وحدك، أرى قطرات الدماء تقطر
من عينيك من فرط صدق القراءة، ماذا أفعل لك؟، لو كنت أعلم ما يبرر كل هذا لعذرتك فى أن تنجو
بجلدك من أى التهام أو مساومة، لو كنت قد استمرت مع زوجتى وحدنا مع عجزى عن قتلها
لاستمرت حياتى مثلك وألعن، أنت تركت المحاولة أصلا وجعلت كل الناس مثل بعضهم البعض كما
يصورهم لك خوفك الغبى، حتى فى عز سخريتك اللاذعة المهاجمة كنت أرى الدم يتسحب على
خديك ثم يتساقط من شديك، وحول قلبك، وتحت جلدك، أنت عارٍ وداخلك ينضح بالمشاعر وطلب
النجدة بالرغم منك، لست غيبا حتى أضيع وقتى معك، لا سبيل إليك الآن، أشك فى قدرتك على
النسيان، أنا فى انتظارك رغم أنفك، فمتى وأين ألقاك؟! لو لم تستسلم للغباء الأكبر وتختفى تحت
التراب فلسوف نلتقى حتما.

- غريب يا إبراهيم

= ماله يا عبد السلام؟، لم نره من زمان.

- هو جارى كما تعلم وهو هذه الأيام فى حال.

= ماله يا عبد السلام؟

- شئ ما قد حدث له بعد فقد صديقة عزيزة عليه، شئ يبدو خطيرا، لا أفهمه جيدا، ولكنه يتكلم
عن الهجرة إلى أستراليا، وعن حضن التراب، وعن أشياء غريبة أخرى، وقد أصابه الهزال بدرجة
مخيفة.

= ما هذا يا عبد السلام، أنا أنتظره، أعتقد أنه سيعود ألينا

- أكاد أحس أنه ينتظرك أيضا، ولكن لا سبيل إليه فهو يكاد يقتل من يقترب منه.

= هل كتب علينا يا عبد السلام أن نفرج على بعضنا البعض بقية حياتنا.

- حواجز الخوف المسلحة لا تفتح إلا لمن ينسفها.

= هذا يزيد من إصرارى على المحاولة.

- إياك أن تفقد حساباتك، أو تتهور.

= لو كان معنا الآن،... ربما.

- ولا ربما ولا غيره، لا يخدعك أملك، الحواجز قائمة قائمة حتى ونحن مع بعضنا، لو كان هناك
شئ يُعمل قهرا لمن فى متناولك لعملته لزوجتك.

= ولكنها وجدت مخدرا يخفى وحدتها، أما غريب فيعيش بلا مخدر.

- المخدرات المغشوشة تضاعف من الوحدة لا تكسرهما.

= أعلم، للأسف.

- لا سبيل للأسف يا إبراهيم.

= وما السبيل إذن؟

- السبيل هو تحقيق الممكن.

= ولكن المستحيل هو الممكن الوحيد الذى ينفع.

- أعلم ذلك، فليكن السعى إليه هو تحقيقه.

=..... على شرط أن نصل يوماً ما.

- يوماً ما.

-2-

ما أفساك يا مختار وأروعك، رأيتنى كما أنا غير رؤية الآخرين لى، ربما لأنك أقل من أخذ منى، أنا لا أكتمك الحقيقة إذ أقول لك إنى أخذت منك أكثر مما أخذت منهم جميعاً، رؤيتك لى زادى وأملى، رأيتنى كما أنا ولكنك توقفت بعد إعلان بيانك القاسى الصادق، أخذت أسأعل هل كنت ترانى أم ترى خوفك منى؟ حسبها بداية علاقة أفقر إليها من قديم، لا علاقة إلا بروئية صادقة مسؤولة، رؤيتك صادقة بلا شك ولكنها ليست مسؤولة، ألم تسمعنى يا مختار، وأنا أستنقذ بك بملء وحدتى وألمى.

- أنا الوحيد الذى أفهمك، أنت تعلم ذلك يا إبراهيم

- يجوز، أنا أنتظر هذه اللحظة منذ سنين، لكننى لا أستسلم لفهمك، تكفينى صدق محاولتك.

لكنها اللحظة التى لم تأت يا مختار، لو حُتَ بها ثم ألقيتنى معها بعيداً ونعتنى بأبشع الصفات،

كانت تلك نقطة بدايتى ولكنك تركتنى وحيداً ملطخاً بصدقك، كنت ترانى لك لى لى، ياليتك علمت كم

أنا محتاج لرؤيتك، أنت قلتها لتحمى بها نفسك من الجانب الآخر لوجودى، أنا جبان كما قلت تماماً،

ولكن لى "فقط"، خشيت أن تقترب بعد بيان الهجوم الصادق، خشيت أن ترى الجانب الآخر فتضطر

للحياة، تساؤلك عن سبب وجودك هنا يصلنى واضحاً صارخاً، أنا أقول لك فى السر إنك هنا لأنك

ملطخ أيضاً، وجودك يعنى أنك تحاول كسر وحدتك بالرغم من كل دعوائك، كل منا هنا ليكسر وحدته

وإن اختلفت الطريقة، أنا بالخوف ومد يد المساعدة على ما قسّم، وأنت بالإشعاعات الجنسية تحت

شعار الحرية، لم أنجح فى الوصول إلى ذاتى أو كسر حواجزى ولم أأخذ نفسى، أما أنت، ماذا فعلت

أنت؟ قلبى يحدثنى أنك أبأس الناس وأشفاهم رغم بريق حديثك وسحر استغنائك، غريب رأيتك أثناء

تفجره وعقدت معه معاهدة بلا توقيت، أما أنت فمختبئ دائماً وراء ضباب أحلامك، قشرة غريب من

فولاذ، ولكنها تغرينى بكسرها لأن لها ملمس صلب، أما قشرك فرخوة تنسجها من جو حالم يغلفك بلا

أمل فى اختراقه من فرط طراوته واهتزازه، تترجم كل ما يدور حولك إلى رموز خاصة تعينك على

ندف الصوف من حولك حتى لا يراك أحد إلا فى غمامة من الإدعاء، تتسى أنك أرق من ذوقك

الكاذب، وأبأس من صوتك الحالم، وأكثر وحدة حتى من غريب ومنى، حتى غريب له صاحب، إنه

يصاحب الكلمات ولو فقات عينيه "دبابيس" الحروف، أنت لا تدرك إلا ما فى عقلك، وعقلك لى به

شئ إلا صوتك الرخو وما نفستو حقوق الإنسان عن الحرية والمساواة، أنت لا تكاد تسمع حتى صوتك

وأنت تتحدث عن الحرية، ياليت ما تقوله وما تريده ممكناً يا أختى، لو كان كذلك لكنت أول الحاجزين

فى جنتك، هل هناك أروع من الحرية بلا شروط؟ والأخذ والعطاء بلا بيع أو شراء؟ والاختيار للفرد

بلا خداع أو إملاء؟، ولكن كيف يا مختار؟ جَنَّتْكُ تَوَجَّلْ رفع الستار باستمرار إلى العرض القادم،

ما يجرى وراء الكواليس لا يبشر بخير، كيف تلوح للأطفال بحرية لا تستطيع أنت تحقيقها؟ كيف

تحمل الرضع مسؤولية الانتحار؟ كيف تغرى الجوعى بأكل السم، ثم تتركهم يتلَوون ذات اليمين

وذات اليسار يدفعون ثمن جوعهم الحر؟ ما أسهل الحلم يا مختار، وما أصعب تحقيقه، قبلت رؤيتك لى

وسعدت بها فهى بعض ما هو أنا، تركتنى أتمرغ فى جنبى وادعائى وحدى، ألعق الدم والصديد من

جرحى الغائر، ما أصدقك حين قلت لى: "كبتك وخوفك يحبس الأطفال فى مهودها حتى تكاد تموت من

الشلل والرعب"، أنا لا أكتمك شوقى للجرى عارياً والبيزارة فى فمى، فهل تضمن لى ألا يطلقون على

النار؟ لن تدفعنى وحدتى للاستسلام لأحلامك ولن أكون حتى مثل غريب، ولا مثلك، ولا مثل أحد.

تسرى ماذا فعلت أنت بوحدتك؟ أراها وراء مجيئك إلى هنا، ولكن ماذا بعد مجيئك؟ هل جئت

تحكم الرباط على عينيك؟ ترى هل يكسرها استجابتهن لك؟ ياليتك تواجه نفسك بشجاعة الفرسان، إذا

كيفية تغرى الجوعى بأكل
السم، ثم تتركهم يتلَوون
ذات اليمين وذات اليسار
يدفعون ثمن جوعهم الحر؟

باليتك تكسر وحدتك
بجريتك المزعومة ربما تحبى
هى الأمل، وأنا أواصل سلخ
جلدى حتى لا يتنفس من
اللباس أو يتبببس من جفافه
تبع الانسحاب وتزييفه الحاجة

أفضل أن أظل أدمى حتى
تعدت التراب من أن ألبس
درعاً منسوجاً من فضلك
وخوفى، وكذب المخدوعين
والمخدوعات

تدفعونى إلى معركة متصلة
لتحدى سلبياتكم وهى
داخلى تغرى، من يراها
يصنعنى بها، ومن يعمى عنما
يتعدانى بها أيضاً

وحدتى بلا حدود، وحيرونى
دواماً بلا قرار، ومع ذلك
فإن إجاباتى حاسمة وسأستمر
بلا تردد، أتعدى سلبياتكم،
أى سلبياتى، حتى الموت

أنا لا أملك الاستسلام ولا
التراجع مهما تراكمت
سلبياتى أو سلبياتكم خوفاً أو
استسهالاً أو عمى أو ما
تشاؤون من تسميات

الحركة مطمئننى، فلتسمر
الحركة على الأمل، وسوف
تعدل الدفة إليك: وَسِعَ
كُرْسِيُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

ما أعظم العديب عن الشجع
والعدل والمساواة ولكن ما
أصعب الطريق إلى تحقيق
كل ذلك

أما أن يكون العديب عن
الجوع إلى اللقمة والغموس
هو مبرر التوقف والغيبوبة،
فيا ضيعة كل شئ

كنت قد نجحت فأنا أول أتباعك، تقول إنك لا تحتاج أتباعاً وأنك لست صاحب دعوة، أليس هذا القول
فى حد ذاته دعوة يا أختى؟ يا شريك وحدتى على القطب المتجمد الآخر، أمسك بخطاطيفى وألقى
بها حيثما اتفق والجليد يخوننى فى كل مرة، أتصيب عرقاً وأتلف فى كل اتجاه لعل خطافى يشبك فى
شجرة أو صخرة مدبية، لابد أن أسعى بعيداً عن الصقيع، يصاب بعض الأحياء أثناء محاولتى
الملهوفة للابتعاد عن قطبى المتجمد، لا أملك إلا هذا يا مختار، أنا لا أملك فراء أحلامك، ولا قوقعة
غريب، ولا حتى شجرة كمال التى اعتلاها يتفرج علينا من فوقها، أتابع خطواتك وخطوات غريب
وكمال بصدق وشغف وأنتظر بديلاً خيراً من سعى المتلف الأعمى، كلماً فشلت رمية خطافى
نظرت إليكم فأصاب بخيبة أمل من جمودكم الساكن رغم ما يعلو وجوهكم من بسمه ساحرة أو ثقة
عديدة، إخص عليكم يا أوغاد لماذا لا تتجحون وتريحونى، إخص عليك يا مختار يا أختى... لماذا لا
تغرب عن وجهى، وأنت تبرر جرائمك باستسلام الضحية باختيارها!!

- أمور لا تخصنى، أنا أعيش وأحقق رغباتى، والضحية تريد ذلك.
= هكذا تلقائياً.

- نعم تلقائياً، أى فعل غير تلقائى هو فعل تافه لا دوام له.

= هل تصدق نفسك؟ الله يخيبك يا مختاراً ألا تخجل؟

يا ليتك تتجح إذن يا أختى ياليت، ياليتك تكسر وحدتك بحريتك المزعومة ربما تحبى فى الأمل، وأنا
أواصل سلخ جلدى حتى لا يتحس من اليأس أو يتيس من جفاف قبح الانسحاب وتزييف الحاجة،
أفضل أن أظل أدمى حتى تحت التراب من أن ألبس درعا منسوجاً من فشكل وخوفى، وكذب
المخدوعين والمخدوعات.

-3-

متى ترجع إلى مرسمك يا كمال؟ متى تعود لشعرك لتبعث الحياة فى ألفاظ ماتت على ألسنتنا من
سوء الاستعمال؟ متى ترقصها على نغمات إحساسك؟ حضورك هنا يا كمال كان مصيبة بالنسبة لى،
قضيت بذلك على ما تبقى لى من أمل فى حل مؤجل، لماذا فشلت يا كمال؟ لماذا توقفت؟ إذا لم نستطع
أن نصنع المستقبل، فلنرسمه لمن يصنعه بعدنا، ماذا فى هذا بالله عليك حتى تتوقف، ثم تأتى معنا مثلك
مثل العجزة أمثالنا؟ أهم فى كل مرة أن أطردك من هنا وأنهاك عن المجئ لو كان لى هذا الحق، أذعو
الله أن أتى يوماً فلا أجذك معنا، أقلب الصحف لأراك فلا أجذك فيها، أبحث عن شعرك يومياً لأطمئن
أنك عدت إلى قلمك سالماً، سمعتك تتحدث مع مختار فى عنف صادق حين رفضت حريته الزائفة،
ولكنك فشلت فى مواصلة الحديث بلغة فنك، تحتقر هرب غالى وزوجته حتى نخاعك، فماذا أنت فاعل
أفضل منهما؟ لم تقاكنى ولم أقاتحك، بعض ما دار بيننا دون كلام كان أبلغ من الكلام، هل تذكر؟

- لن أكون مثلك يا إبراهيم، حتى ولو كنت أنت الحقيقة ذاتها.

= لست الحقيقة... لست شيئاً أذعو أن تكون مثله يا كمال فماذا أنت فاعل.

- وجودك هكذا عارياً عاجزاً مدعياً يعطلى.

= يعطلك عن ماذا... أنا أتمنى أن تذهب إلى مرسمك وأوراقك اليوم قبل غد.

- كذاب، أنا أملك فى كسر وحدتك لأنى أكثرهم تماسكاً وأقلهم رقصاً على السلام.

= لا أنكر أنى أتمنى أن أشاركك وجودك لحظة صدق، ولكن أنت..؟ أنت خسارة، خسارة أنت يا

كمال... أنت فنان.

- كفى ادعاء! أية خسارة؟ ولماذا لم تلجأ إلى الفن أنت بدلا منى.

= لا أملك مقوماته، أو أدواته

- كذاب، الفن ليس حكرًا لأحد، هو كشف عن الآتى بوعى أشمل، دع رموزك تتحرك بلا

وصاية.

= فلماذا توقفت أنت؟

- رأيت أكثر مما أستطيع أن أترجم.

= وهكذا أنا، وأنت تعلم ذلك.

- إذن، كفى ادعاء، ودعنا نواصل الفرجة.

= أنا لا أتفرج يا كمال إلا مرغما، ثم لنفرض، إلى متى تمتد فرجتك انت يا كمال؟!.

- حتى أياس من محاولاتك المستميتة مع هؤلاء الناس ونفسك، ساعتها سوف أرجع إلى أحلامي،

إلى ريشتي وقلمي، أضعها في شكل يبقى؟ أتركها عهدة لأصحابها في أفق المستقبل.

= تثنييني عن الاستمرار هنا وكنت أحسب أو أرجو أن نصنع المستقبل معا لا نرسمه.

- أنت لا تستطيع التوقف، وأنا لست أبُلِّهاً لأحاول.

= جرحي غائر يا كمال، ورؤيتي شملت الكون طولا وعرضا فماذا أصنع بها؟

- أنا لا أنصحك.... ولكني أنتظر فشلك، وإن كنت لا أتمناه.

= تتمنى نجاحي إذن.

- ليس تماما وهذه هي المصيبة الأعظم.

أنا يا كمال أشفق من اللحظة التي ستذهب فيها، أنا أعلم ما يمكن أن تعني لي هذه اللحظة، لا

أستطيع أن أغمض عيني أو أتناسي، قد تواصل فنك ثانية، ولكن ألم العالم يغلي في داخلك.... فليكن،

وليخرج الغليان بخارا يتصاعد إلى سحاب يمطر أمل المستقبل، وليحققه أصحابه فينمو زرعهم أنفذ

وأعظم.

لا تَطُلْ وَقَفَتِكَ يا كمال.

-4-

يا ناس يا هوه، تدفعوني إلى معركة متصلة لتحدى سلبياتكم وهي داخلي ترعى، من يراها

يصفعني بها، ومن يعمي عنها يتحداني بها أيضاً، وحدتي بلا حدود، وحيرتي دوامة بلا قرار، ومع

ذلك فإن إجاباتي حاسمة وسأستمر بلا تردد، أتحدى سلبياتكم، أي سلبياتي، حتى الموت، أنا لا أملك

الاستسلام ولا التراجع مهما تراكمت سلبياتي أو سلبياتكم خوفاً أو استسهالا أو عمى أو ما تشاؤون

من تسميات، كلها لا تعني شيئا ذا بال، وجودها لا يزيدني إلا تصميمي على استيعابها لأخطاها إذا

أردت أن أعيش، أنا أريد أن أعيش، ولكن كيف؟ كيف يا ربي؟ أين أنت؟ كل ما حولي يقول إنك

هناك، إنك هنا، أحاول أن أعرف نفسي لأعرفك، ولكني حين أغوص في ذاتي أبتعد عنهم فأرعب،

وحين أتلاشى فيهم أبتعد عنك فأضيع، الحركة تطمئنني، فلتسمر الحركة على الأقل، وسوف تتعدل

الدفة إليك: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

أجدك أحيانا في لحظات سكوني الأمن اليقظ، لكنها لحظات أو أقل، لكنها تكفي، ربما تكفي، أعلم

أنى المسئول عن ذلك، منظر عبد السميع الأشرم وهو يتصور أنه الوحيد الذي يرفع رايتك يقربني

إليك وأنا أشفق عليه، أكاد أصرخ في عبد السميع أن "لا" ليس كذلك، يحاورني ويداورني وأنا واثق

أنه لا يعلم شيئا عنك إلا باطل الأباطيل، وجهه الآخر "غالي جوهر" يثير زوبعة غبية يتصور أنه

سيخفيك في ترابها، يحاول تحطيمك دون أن يعرفك أصلا، أني لغالي جوهر أن يعرف عنى ذلك كله،

هذا كلام لا يقال وإن قيل فهو لا يفهم، أدفع نصف عمري، حتى أعرف أين يقف هذا الطبيب منك،

هل عرفك داخله أم أنه يستعملك من الظاهر.

هل أنا الذي أتعاطى الأفيون يا غالي يا جوهر، هلاً نظرت فيما تفعله أنت وزوجتك المصون، أنا

لا أكرهكم ولكني أرفض أن أصمت وأنتم تهربون من كل شيء في اللاشيء، ما أعظم الحديث عن الشبع

أنا وحيد مع خوفى يلفنى فى
تقمه لا ترونه، لكننى
أصارعه بالمجوه على وحدتى
ليل نهار، ويبدو أن أول
الطريق للتخلص من الخوفه
هو أن تخافه دون استسلام

أنا لست نبياً ولا مدعياً
النبوة، الأنبياء أنقذهم
الوحي من الوحدة، ونحن
نريد أن نصنع صنيعهم دون
وحي، ربح حقيقي من هزل
المشقة ومظنة الفضل.

لست متصوفاً ولا زاهداً ولا
محبوباً، أعبد الحياة وأصر
عليها وأنا أنزفه دما من كل
جانبي، فيزحاد بإصراري
وأنا أتلقى العراب والسما
عاري الصدر حتى النهايه.
لأن المسألة تستأهل، المسألة
هى الحياة

والعدل والمساواة ولكن ما أصعب الطريق إلى تحقيق كل ذلك، أما أن يكون الحديث عن الجوع إلى اللقمة والغموس هو مبرر التوقف والغيبوبة، فيا ضيعة كل شيء، أشعر أنكما محقان، دينك داخلك يا غالى، فدعه يترعرع بلا إذن من ملكة ولا خوف من كمال.

وأنا؟ لماذا لا أدعه يترعرع أنا أيضا، أنا وحيد مع خوفي يلفنى فى قمقم لا ترونه، لكننى أصارعه بالهجوم على وحدتى ليل نهار، ويبدو أن أول الطريق للتخلص من الخوف هو أن تخاف دون استسلام، يا خوفي التتين لن أستسلم لك أو أعتذر بك، أنت حاضر وسوف أستغلك بحساباتى الخاصة بكامل وعيى، لن تغربنى بالوحدة الانسحابية - فكل من استسلم لها هو يائس يائس، ليس عندى حل وسط، الموت أهون من الاستسلام... فهى المواجهة المستمرة رعب أزلنى يعوق الأنبياء أنفسهم، أنا لست نبيا ولا مدعى النبوة، الأنبياء أنقذهم الوحي من الوحدة، ونحن نريد أن نصنع صنيعهم دون وحي، رعب حقيقى من هول المشقة ومظنة الفشل، أحاول أن أصنع من هذا الرعب ذاته أملا يقربنى منك حيثما كنت، فإن هربت منى يا غالى كما فعل غريب فسألنى كل يوم ألف غالى وألف غريب، هذا هو عبد السميع نقيضك ووجهك الآخر بدأ يلين ويقشعر جلده بعد أن كان قد نحس بلا أمل فى أدنى اهتزاز، أنت تختبئ فى الناس، أو بالأحرى فى الحديث عن الناس وهو يختبئ فى الدين، بل بالحديث عن الدين.

لست متصوفا ولا زاهدا ولا مجذوبا، أعبد الحياة وأصر عليها وأنا أنزف دما من كل جانب، فيزداد إصرارى وأنا أتلقى الحراب والسهم عارى الصدر حتى النهاية..، لأن المسألة تستأهل، المسألة هى الحياة.

من أين أتى بكل هذا الكلام المضىء المتفجر، كيف يخرج منى بلا تردد ولا خجل "سهما للحق ومشاعل للحياة"، يا صلاة النبى! ثم أرتد فأجدنى وحيدا مسكينا لا حول لى ولا قوة، حين تتطلق منى الكلمات بكل هذا الصدق الذى أتصوره، أشعر أننى أكاد أشعل الحياة من حولى فورا، وأنى -هكذا- أضرب الباطل بسهام الحق فينصلح الناس، هذه خطابة خائبة، ليس تماما، فهى تصل إلى أصحابها بأى قدر مهما شككت فى جدواها.

أريد أن أعرف أين أنا؟ من أنا؟! أحاول أن أتحسس طريقي بهدوء وحذر، أنا على يقين من أنى على صواب، لو أعلنت ذلك أو بعض ذلك بلا حساب لكان مصيرى هو المستشفى العقلى، أو السجن حسب مزاج الساسة، أو خوف الأطباء، أيهما أغلب؟

أحترم قانون العقوبات بنفس الدرجة التى أحترم بها هذه القوة الطاغية داخلى ذات القانون الخاص، أخاف من الخارج الكاذب القاهر الغبى، قانون العقوبات وكل القوانين أعبى قيود صنعها الإنسان بمحض إرادته ولكنها هى التى تحمىنى من أن يقذفوا بى فى مستشفى المجانين بقية حياتى، ربما هذا هو سر خوفي ومبرراته، أرى الواقع فى نفس اللحظة التى أواجه فيها الحقيقة، الواقع غير الحقيقة، أحيانا يكون نقيضها، يا للقسوة! ما أسهل أن ترى أيهما وترتاح، لو أنكم تعرفون قسوة كل هذا ما تركتمونى وحيدا هكذا؟ مر الواقع لا يخففه الهرب منه، أو التحايل عليه، أمضغه فى أناته، وأنجرع عصارته حتى الثمالة، ما أسهل الصياح والجنون والدعارة يا أوغاد، ما بين قانون العقوبات وإلحاد غالى جوهر ومادية زوجته العمياء، وتشنخ دنيا عبد السميع الأشرم، سوف أعيش دون تراجع ولا تردد، ولا استسلام يا عبد السميع، إسمع لما أقول لك يا جدع أنت: اتق الله يا رجل، المؤمن ليس ذليلا ولا جبانا.

-5-

كيف يا نجوى أعيش بلا خوف وأنا أعانى كل هذه الوحدة، هل غرك أنى أبوء وكأنى ملجأكم، وكأنى طبيب مجانى قبل الجلسة وبعدها؟ هل غرك صوتى العالى ومنطقى الواثق وحبى للحياة؟ أنا

حين تتطلق منى الكلمات بكل هذا الصدق الذى أتصوره، أشعر أننى أكاد أشعل الحياة من حولى فورا، وأنى -هكذا- أضرب الباطل بسهام الحق فينصلح الناس

هذه خطابة خائبة، ليس تماما، فهى تصل إلى أصحابها بأى قدر مهما شككت فى جدواها.

أحترم قانون العقوبات بنفس الدرجة التى أحترم بها هذه القوة الطاغية داخلى ذات القانون الخاص

مر الواقع لا يخففه الهرب منه، أو التحايل عليه، أمضغه فى أناته، وأنجرع عصارته حتى الثمالة

أتمسك بجبال الوحدة وأقتحم كهوف الخوف دون سلاح إلا تعويذة حب الحياة والناس

تسأليني ما الحرية؟ وكأني أعرفها، أسأليني عن السعي والتحدى والكذب والفرحة والألم الخلاق

”شقاؤى مع إصرارى على مواصلة السعي قد يكون حريتي

لن أقبل أى صورة للموت إلا بعد أن تكف أنفاسى عن التردد، إما أن أوصل سعوى بكل ما يدبّ فى من نبض أو يهمنى من رعدة، وإما “لا” كاملة

أحب الحياة يا نجوى لأنى أحمل فى داخلى موتا يكفيكم جميعا، حتى أنت جئت تسألينى وكأنى أحمل مفاتيح خزائن السعد، وما أنا إلا مريض يتردد على العيادة مثلكم، يصارع الموت والضياح، أتسلق جبال الوحدة وأقتحم كهوف الخوف دون سلاح إلا تعويذة حب الحياة والناس “تسألينى ما الحرية؟” وكأنى أعرفها، أسألينى عن السعى والتحدى والكذب والفرحة والألم الخلاق يا شيخة!

”شقاؤى مع إصرارى على مواصلة السعى قد يكون حريتي“ فهل صدقتنى يا نجوى؟ ما أعباك لو صدقت، لقد ضبطتتى متلبسا بالشقاء مثلما ضبطنى مختار ممثلنا بالخوف، وضبطنى غريبا غارقا فى الوحدة، ليس أمامى خيار بين الموت والحياة، لن أقبل أى صورة للموت إلا بعد أن تكف أنفاسى عن التردد، إما أن أوصل سعوى بكل ما يدبّ فى من نبض أو يهمنى لى من أمل أو يهزنى من رعدة، وإما “لا” كاملة، نعم، يخطر لى ما أخشى أن أصرح به، يخطر لى أنهم لو قطعوا يديّ ورجلى ولسانى وفقأوا عيني وأصموا أذنى لاستمررت أتخرج هنا وهناك على غير هدى لعلى أصدم بكاذب يفيق من كذبه، إذ يرى بشاعة منظرى وإصرارى على الحركة حتى بلا غاية ولا وسيلة، أتصور نفسى وأنا على هذا الحال من العجز وأقول إنه حتى لو افترسنى وحش جائع أو التفت حولى أفعى دنيئة فلسوف أحس بقيمتى وأنا فريسة تصرخ لتعلن عدم استسلامها إلا لقهر خارجى لا تعرف مصدره أصلا ولا طريقة دفعه، سوف أحيا يا نجوى من أجل ما فى الدنيا من شر، لأصنع الخير حتى منه، وربما أكتشفت أنه ليس شرا أصلا إلا لأننا تركناه يستشرى، سوف أستمر يا نجوى حتى لو بقيت وحدى مدى حياتى، (أريد أن أصدق نفسى).

فلماذا تتركينى وحدى يا غبية، يا أغبياء؟

أحاول اختراقك واختراق كل من حولى؟ لنتواصل بأى درجة ممكنة من الصدق، وقد لاح لى أن هذا ممكن من خلال جمعنا هذا، أحيانا أفكر فى أن أنسحب إلى وحدتى فى انتظارك أو أنتظار أى واحد يريد، قد أعذر بسمة وهى تظمن لإصرارى ووضوح رؤيتى والتمادى فى نقاشها نقاشا حادا مثل السيف، حتى بسمة الرقيقة ترانى فى أوقات صحوها على حقيقتى فتحيى فى الأمل أن يرانى أحدكم قبل النهاية، لا أنكر مصيبتى، يا بسمة، حقيقة أنا أستعمل ألفاظا فحمة أو رنانة، ولكنى لا أجد غيرها إلا الكذب، الألفاظ إما مسئولة نابضة، أو جوفاء باهتة، وألفاظى تخرج من أحشائى يا بسمة يا حبيبتى، لست على عقيدة غالى أو ذهول عبد السميع، وما أنا إلا مصارع دائم بلا احتمال للترجع، لست وحيدا يا بسمة يا ابنتى ما دمت أصارع وحدتى فى كل لحظة، قد لا أنجح أبدا فى التخلص منها، ولكن صراعى المستمر معها يبرر استمرارى منتصرا حتى النهاية، قلبى عليك يا ابنتى وقد رأيت كل هذه الرؤية وأنت بعد فى أول الطريق، ما أشجعك وأشفاقك، ياليتك تمتعت قليلا بلذة العمى، يا ترى هل للعمى لذة؟ قلبى معك يا بسمة حتى لو تراجعت فهذا حقل ولو لبضع سنوات. أين أنت يا نجوى يا ابنة شعبان يا راقصة على السلالم بلا شمعدان.

-6-

مثل القضاء والقدر أبلغتنى نجوى بصدور الحكم دون استئذان أو انتظار لرأى، وقبل التنفيذ طلبت طلبا واحدا هو أن يكون قتل الوحدة إعلانا للإيمان، فوافقت فورا دون أن أفكر “كيف”. فعلتيتها يا نجوى وسط النار، والجرح لم يندمل بعد فعلتها، وأنا على أتم الاستعداد لمقاومة أى اقتراب كاذب، ربما لهذا جاء انقضاضك بلا إنذار ليكون أسرع السبل للقفز فوق الحواجز.

= هل يمكن يا نجوى؟

- قد أمكن.

= ماذا تنتظرين منى على وجه التحديد.

- ... لا شئ.

- = لا شئ بتاتا؟
- ربما التوقف عن الأوهام حتى ندع الفرصة والوقت لالتئام الجرح.
- = هكذا ببساطة.
- لم لا...؟ البساطة هي الأصل، وهي هي دليل الصدق.
- = وأوهامك يا نجوى..... أحسب أنها أكبر من أوهامى.
- لذلك قررت دخول الحياة معك دون استئذانك.
- = ومن يضمن الاستمرار؟
- رحلات الداخل والخارج... منهم إليهم، ومنه إليه، إليهم، وبالعكس.
- = ما هذه اللوغار تيمات؟ هل تحبيننى يا نجوى؟
- خبيك الله.... طبعا لا.
- = أعلم إجابتك أردت أن أسمعها لأطمئن.
- يا شيخ...!!!!
- = أمامنا عمل لا ينتهى، علينا دين للناس لا يد من سداه، دين لا حدود له.
- سوف نوفيه لأصحابه.
- = ونحن الاثنيين على أول قائمة أصحابه.
- طبعا.
- ****

إنه حتى لو افتترسنى وحش
جانح أو التففت حولى أفعى
دنيئة فلسوفه أحس بقيمتى
وأنا فريسة تصرخ لتعلن عدم
استسلامها

الناس يملئون حياتنا بلا
واجب ولا اختناق، لا ننسى
أنفسنا من أجلهم ولا ننساهم
أبدا

عماهم مسئوليتنا وعملنا
المهادى لا يساوى شيئا إن لم
يفتح الطريق لأكبر عدد
منهم للحصول على اللقمة
والعدل طريقا للوصول، إلى
أنفسهم إليه!
يارب... لم أطلت
الطريق علينا..

أعيش هذه الأيام معها بدونها، لا أصدق أن هذا ممكن، أدخل عالمها وقتما أشاء دون شرط أو مقدمات أو مطالب، وأستقبلها وقتما تريد بلا حقد أو عدوان أو اعتماد، تطردنى فلا أموت، وأطردىها فلا تجرح كرامتها، أو من أنى سأجدها وقتما أريد، لأنها تجدى حين تقرر، نحترم العلانية والناس بضعفهم وخوفهم، الناس يملئون حياتنا بلا واجب ولا اختناق، لا ننسى أنفسنا من أجلهم ولا ننساهم أبدا، نعيش بعمق دون خوف من الوحدة أو الجنون مع أن الألم لم يخفق لحظة، الناس جزء لا يتجزأ من وجودنا، عماهم مسئوليتنا وعملنا الهادئ لا يساوى شيئا إن لم يفتح الطريق لأكبر عدد منهم للحصول على اللقمة والعدل طريقا للوصول، إلى أنفسهم إليه!
يارب.... لم أطلت الطريق علينا..
أهكذا؟
أصعب الأمور أسهلها؟!
والمستحيل.... هو هو أبسط صور الممكن!!?
هل هذا صحيح؟
ولم لا؟

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD150718.pdf

*** ** *

ش.ع.ن: منجزات خمسة عشرة عاما من العطاء "

(التأسيس العام 2000 الاطلاق على الوبج العام 2003)

الكتاب السنوي الخامس

تحميل الكتاب

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>